

هل أصبحت وظيفة المدرسة طمس المواهب؟
أ. منصورى عبد الحق (جامعة وهران، الجزائر)

مقال في مجلة التربية، التي تصدرها اللجنة الوطنية القطرية للتربية و الثقافة و العلوم ،
العدد 128، يوليو 1999 ، الصفحات: 130-136

إذا كان المجتمع ينتظر من المدرسة أن تمده بالكفاءات و بالعناصر الفاعلة التي تؤطر بنجاح مختلف مجالاته الحيوية بهدف تطويرها للارتقاء بالحياة الاجتماعية نحو الأحسن و الأفضل ، فلا بد أن يدير المرربون ظهورهم إلى قشور المعرفة التي ظلوا لفترة طويلة يحيطونها بهالة من التضخيم و التقديس ، و أن يتخلوا عن تلك الأساليب التي جعلت من التلميذ مجرد مستهلك لما يعرض عليه أو وعاء فارغ يجب شحنه و أن يشرعوا في التحضير السليم لرجال الغد بإعدادهم في الجوانب الأساسية التي تؤهلهم ليصبحوا أفرادا مستقلين ، يعرفون كيف يدخلون في المجتمع و كيف يحددون فيه أدوارهم بصورة إيجابية ، و على رأس هذه الأولويات ، محاولة تنمية ذكائهم و قدرتهم على الإبداع ، و عدم الاستسلام للمنطق الذي لا يرى في هذه الملكات سوى خصائص موهوبة يتحكم في ظهورها نظام بيولوجي موروث.. إذ بوع المدرسة أن تقدم الكثير من أجل تطوير العملية العقلية لدى التلميذ و تحسين أساليب تفكيره ، و أن تحفزه على استغلال طاقته الكامنة استغلالا أمثلا .

كذلك بإمكانها التخلي عن بعض الأعمال المكررة التي لا يحتاج فيها الفرد إلى تركيز ذهن أو إلى إعمال فكر أو توجيه انتباه ، و التي ظلت ، في رأينا ، تشجع على سلوك طريق الغباوة .. و استبدالها بأنشطة أخرى تعطي فرصا كثيرة لعمليات التفكير الحقيقي و لاكتساب المعرفة الصحيحة ، و للقيام بالعمل الاستكشافي .. الأمر الذي سوف يسمح للمشرفين على المؤسسة التربوية بالتعرف على النوعية التي طالما وجدت في مدارسنا و لم يعبأ بوجودها أحد نظرا لضياعها وسط الحشود . بدون هذا التحول الجذري في العملية التربوية ، مضمونا وطريقة و أسلوبا ، فإن المدرسة ستظل تراوح مكانها ، منطوية على ذاتها ، تعيش على هامش الحياة الاجتماعية و لن تكون أهلا لخدمة مجتمعها أو أداة فاعلة لتطويره و الارتقاء به ..

و سيظل المرربون يقومون بكل شيء، و تلاميذهم أعجز ما يكونون عن متابعتهم والاستفادة من جهودهم ، مما قد يدفع إلى التشكيك في فائدة الالتحاق بالمدرسة وبل إلى الحديث عن الخطر الذي يحقق بالأطفال داخل هذه المؤسسة التي نجحت في طمس المواهب أكثر من نجاحها في تنمية القدرات و استغلال الكامن من الطاقات.